# الفصل الأول

# التراث والمفاهيم الأخرى

# الفصل الأول

# التراث والمفاهيم الأخرى

## تمهيد

لا شك في أن التراث وما يشكله من حفاظ للهوية الثقافية من أهمية في تعزيز وتماسك المجتمعات من حيث معتقداتها وقيمها ودينها وحضارتها... التي اكتسبتها وكونتها على مدى الأجيال من المخاطر الخارجية و خاصة في العصر الحديث الذي زال فيه جميع العوائق والحواجز وأصبح رهينة للغزو الثقافي والفكري الغربي.

و يتميز التراث بكونه يتصل بكافة العلوم الاجتماعية والإنسانية وبعلاقته مع المفاهيم والمصطلحات والفنون والعلوم التي اكتسب منها الكثير وأفاد ها وأر فدها بالكثير أيضاً لدرجة التداخل وصعوبة التفرقة في الفهم فيما بينها أحيانا مما يستوجب ضرورة التوضيح وازاله الغموض واللبس ووضع نقاط الفروق أمام الباحثين والدارسين في هذا المجال.

ونظراً لأهمية التراث وتداخله مع الكثير من العلوم سعت العديد من الدول والمنظمات العربية والأجنبية وكذلك الأفراد من باحثين ومتخصصين لتوضيح المفهوم بوضع تعريفات تحدد فيه المعنى والمفهوم و ما يحتويه ويضمه من مكونات وأنواع وفقاً للجهة التي وضعته ورؤيتها سواء الشاملة التي تشمل كافة مناحي الحياة الحضارية والمادية والفكرية واللفظية والفذية أو المحدودة التي تتمثل في التراث المادي فقط.

ونستطيع القول بأن التراث يشمل كافة أوجه النشاط والإبداع والابتكار الإنساني المادي والفكري واللفظي والفني ولا يزال حاضراً وموثقاً سواء في الطبيعة والواقع أو يتداوله ويتعامل معه أفراد المجتمع ويشكل الحضارة التي اكتسبها من الحياة ولا زال يمارسها ويحتفظ بها.

## تعريف التراث : Heritage

**التراث لغة:** ما يخلفه الرجل لورثته، وأصله وِرْثُ أو وِراثُ، فأبدلت الواو تاءً، فالتراث والإرثُ والوِرثُ مترادفة، والتراث في معاجم اللغة العربية، هو" ما ورثناه عن الأجداد " وأصلها من ورث ويقول ابن منظور في لسان العرب " ورثه

ماله ومجده "[1]، وقد ورد كلمة (التراث) في القرءان الكريم مرةً واحدة بمعني الميراث في الآية الكريمة: (وَتأْكُلُونَ التُّرَاثَ أكْلاً لما) والمعنى: تأكلون الميراث أكلاً شديداً لا تسألون مِنْ حلال هو أم من حرام[2].

**اصطلاحاً:** تشمل ما تركه الأوائل من مؤلفات لغوية أو نحوية تعرف بالتراث اللغوي وما خلفوه من أنماط مما كانوا يلبسون، وما كانوا يستعملون من أواني وأدوات هو ما يمكن أن يسمى بالتراث الحضاري[3]، ويشير مفهوم التراث إلى كل ما هو متوارث من الماضي، أي مجموعة الأفكار والمعتقدات والرموز والصور والفنون والعناصر المادية التي يرثها مجتمع من المجتمعات من الماضي أو تبقى على درجة من الثبات وتنتقل من جيل إلى جيل[4]، وعرفه الميثاق الدولي للسياحة الثقافية (المكسيك ١٩٩٩) على أنه مفهوم عام عريض يتضمن البيئة الطبيعية والثقافية فهو يشتمل على تنسيق الأرض، الأماكن التاريخية، المواقع والبيئات المبنية بالإضافة إلى التنوع البيولوجي والممارسات الثقافية السابقة والمستمرة والخبرات المعرفية والحياتية، فالتراث يسجل ويعبر عن العمليات الممتدة عبر الزمن والتطورات التاريخية التي تشكل جوهر الهوية الأصلية المحلية والقومية والإقليمية المتنوعة بحيث تمثل مكوناً متداخلاً مع الحياة الحديثة [5]، ونطلق لفظ التراث بالمعنى الواسع على نتاج الحضارة في جميع ميادين النشاط الإنساني من علم وفكر وأدب وفن ومأثورات شعبية وآثار ومعمار، وتراث فلكلوري واجتماعي واقتصادي [6]، ويعرف التراث بأنه مجموعة السلوكيات التي يمارسها مجموعة من الناس في منطقة ما في زمن ما، شاملا بذلك أصول العادات والتقاليد والأغاني والملبس والمسكن وطريقة ممارسة الحياة في الزواج والزراعة والبيع والشراء [7].

---

(١) ابن منظور. **لسان العرب**. مادة "ورث".

(٢) سورة الفجر. **آية** ١٩[ تفسير الطبري ١٨٣/٣٠].

(٣) مصطفى مبارك. **دليل الباحث القطري لجمع الفلكلور**. ط١(الدوحة: وزارة الإعلام، ١٩٨٥) ص٢٦.

( ٤) **" التراث والثقافة الشعبية والتغير الاجتماعي: مقترحات ومحاولات بحثية ".تأليف:** مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بالجامعات المصرية. **تحرير:** محمد الجوهري وحسن حنفي. **في:** مجلة التراث والتغيير الاجتماعي. الكتاب الثالث. ط١(جامعة القاهرة: كلية الآداب - مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، ٢٠٠٢) ص٤٩.

(5) **International cultural Tourism charter**, from the Introduction , mexico. 1999.p4

(٦) محمد أحمد. **دراسات في التراث العربي**. ط١ ( القاهرة: الأنجلو المصرية، ١٩٧٩) ص٥.

(٧) خالد جمعة. **الأغاني الشعبية الفلسطينية في قطاع غزة**. ط١(غزة: الهيئة العامة للاستعلامات، ٢٠٠١) ص٣.

## أهمية التراث

التراث هو الهوية الثقافية للأمة، والتي من دونها تضمحل وتتفكك داخلياً، وقد تندمج ثقافياً في أحد التيارات الحضارية والثقافية العالمية القوية، وبالنسبة للمسلمين فإنهم يتعرضون لهذا التفكك ويندفعون بقوة مطردة نحو التيارات العالمية المتباينة، ويمكن أن نتلمس أسباب ذلك أو بعضه في طبيعة التراث من ناحية، وفي طريقة الإفادة منه ثانياً، وفي القيم العامة التي تحكم إلى حد ما ولو على صعيد القيادات الفكرية عملية التفاعل معه ثالثاً [١].

فالتراث في ضوء مفهوم الأصالة إذن، يمثل الدرع الواقي للكيان الثقافي، وحمايته من أخطار الغزو الفكري، ولا سيما أن المفهوم العلمي للأصالة والمعاصرة، لا يعني "العزلة" عن الثقافات العالمية وإنما يقتضي دعم القدرة الانتقائية لدى المثقفين بالبرامج الثقافية في التليفزيون بصفة خاصة، وهي القدرة التي تتيح له التعبير بمختلف الأفكار والأساليب الحضارية الوافدة والتي يزيد من انتشارها التقدم في وسائل البث الفضائي والمباشر [٢].

ومن الجلي الذي لا يقبل الجدل أو المراء أن الأمم كلها: المتقدم فيها، والذي يسعى إلى التقدم يهتم بما خلف آباؤه وأجداده من تراث، ويرى في هذا التراث الزاد الذي يمده بأسباب النمو، لأن هذا التراث يتضمن تجارب الشعوب الناجحة، فيأخذ الخلف بما كان سببا في نجاح السلف، كما يتضمن التجارب التي لم يكتب لها النجاح فيحاول الخلف البحث عن الأسباب التي أدت إلى ذلك، ونحن نرى شعوب الأرض قاطبة تهتم بهذا التراث، فتحيي ما مات منه وتسجل ما تخشى عليه من الضياع، حتى يظل تاريخها حياً، ويكون هذا التاريخ سندها الذي ترتكز عليه في شق طريقها إلى المستقبل الأفضل[٣].

إن قضية التراث تطرح نفسها، وتؤكد أهميتها على الصعيد القومي كعنصر أساسي يؤكد أصالة الأمة العربية وصمودها أمام التحديات المصيرية التي تواجهها ومن الضروري أن نعتني بالتراث بروح المسئولية القومية، ومن خلال فكر الأمة

---

(١) أكرم العمري. **التراث والمعاصرة في:** مجلة شهرية إسلامية – سلسلة فصلية. ط١ ( قطر: دار الكتب القطرية، ١٩٨٥) ص٣٥.

(٢) سهير جاد. **البرامج الثقافية في الراديو والتلفزيون** (القاهرة: دار الفجر، ١٩٩٧) ص٢٤٠.

(٣) الفضائيات العربية ومتغيرات العصر. **أعمال المؤتمر العلمي الأول للأكاديمية الدولية لعلوم الإعلام**. ط١ ( القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٥) ص٥٥٧.

العربية وتاريخها ومستقبلها وأن نسقط الدعوات المغرضة التي تدعى وجود تناقض بين الأصالة وأحياء التراث وبين المعاصرة والتقدم الحضاري فتراث الأمة هو سيرتها، والقوة الدافعة لبقاء المستقبل على ضوء التوازن المتفاعل بين الأصالة والمعاصرة، ولا أجد انفصاما بين ماض الأمة وحاضرها المشحون بما يحمل من ميراث الماضي الذي تكمن في أعماقه جذور ذاتنا [١].

وتمتلك الأمة العربية تراثاً كبيراً يمثل حلقة ضخمة من حلقات تطور الإنسانية واطراد النشاط الفكري العالمي ويقدر عدد المخطوطات العربية الموجودة في العالم بنحو مليوني مخطوط على أقل تقدير، ويتعجب الطالع على الكتب التي عنيت بحصر التراث، وذكر أسماء المخطوطات من تلك الأعداد الهائلة التي نصت عليها، والتي ليس لها نظير في أية حضارة من حضارات العالم، فقد حصرت تلك المصادر مئات الألوف من الكتب التي تطلق عليها اسم التراث العربي، ومما يدل على كثرة المخطوطات التي خلفها لنا الأجداد أننا حين نطالع كتب تراجم العلماء منهم نجدها تذكر الكتب التي ألفوها والتي تعد بالعشرات أو المئات للعالم الواحد ولكننا حينما نبحث عن الموجود منها لا نجد إلا واحد أو أثنين، وقد لا نجد شيئاً [٢].

ومن هنا يتحتم على الجميع أن ينظم نشاطاً إلى حركة إنعاش التراث إنعاشاً فعالاً لا يقف عند حد جعله متحفاً مسجلاً على ورق معروضاً على جدران، وخصوصاً دور وموقع وسائل الإعلام الشريفة والمربين في جميع المراحل والمواقع لأن عليهم دوراً تاريخياً يقومون به بالإضافة إلى الدور الذي مارسوه لغاية الآن، كما أن الأكفاء من أبناء وبنات أمتنا مطالبون بأن يجعلوا هذه الحركة، حركة الكشف عن التراث وإنعاشه إلى المبادرة والاستمرار في تطوير تراثنا من حيث القصص الشعبي والشعر أو الزجل والأغنية الشعبية والمعتقدات الشائعة والأساطير والخرافات لأن كل هذا يعكس وجوداً كان، ولكن هذا الوجود يأبى إلا أن ينتفض ليعود متجدداً متكاملاً منطلقاً نحو مستقبل يجسد فيه ذاته مؤكداً لحقيقة بسيطة ألا وهي أنه لم يذب وأنه سيعود ليبرز ساطعاً أصيلاً [٣].

ومما يؤسف له أن هذا التراث الكثير تفرق في جميع أنحاء العالم نتيجة لكثير من العوامل التاريخية والاقتصادية والسياسية والفكرية التي مر بها الوطن العربي وما تعرضت له الأمة العربية من هجمات استعمارية من الخارج، ومحن فكرية وثقافية في الداخل، فقد كان للبعثات التبشيرية والتجارية والسياح والرحالة الأجانب والغزاة المستعمرين الأثر الكبير في جمع ما تضمه بلادنا من نفائس المخطوطات

---

(١) محمد أحمد. **مرجع سابق**. ص٧-٨.

(٢) محمد أحمد. **المرجع سابق**. ص١٥.

(٣) سامي مرعي. **الأرض والإنسان والجهر: دراسة لحضارتنا المادية على أرضنا** ( بيروت: الجليل للتجليد، ١٩٩٣)ص١٢.

التي نفتقر إلى وجودها في مكتباتنا، ومما ساعد على تفرق المخطوطات وتوزعها في كثير من بلدان العالم اتساع رقعة الثقافة الإسلامية إبان عصور ازدهار الحضارة العربية الإسلامية بحيث شملت جميع بقاع الوطن العربي والأقطار الإسلامية على ترامي المسافات وتباعدها [١].

إنه مما يدعو إلى الحزن والأسى أن كتابنا الذين ظهروا في عصر النهضة الحديثة لم يجدوا زاداً ثقافياً بعد أن غطى التراب كتب التراث غير ما قدمه لهم الغرب، فهم تقاعسوا عن الكشف عن التراث واستمروا يعتقدون في قوة الثقافة الغربية، حتى فاجأهم الغربيين نفسهم وأبان المؤرخون الذين اهتموا بدراسة الحضارات عظمة الإنجازات التي تحققت إبان ازدهار الحضارة الإسلامية، ومن المحتمل أيضاً أن يكون المفكرون الغربيين هم أيضاً الذين قالوا بأن الأمة التي لا ماضي لها لا حاضر ولا مستقبل لها، وبذلك لفتوا انتباه مفكرينا إلى أهمية إحياء التراث [٢].

وإننا لم نجد المعاصر طابعنا بعد، ذلك لأنه ليس إلا نتاجاً لما نفعله نحن في وجودنا الإنساني وعلى هذا فيجب البحث عن أصالتنا الراهنة في الافتقار إلى شروط تولدها، أي في العناصر المجتمعة، في العلاقات الفعالة بين الإنسان والزمن والمادة، وأن الافتقار إلى هذه العلاقة هو الذي يفقد أعمالنا وسلوكنا ورؤانا أصالتها، وليس تباطؤ نشر وإحياء التراث وليس ضعف حركة الترجمة والنقل عن الغرب، وهذا يمكن أن يفسر لنا لماذا مازال الفن العربي بعيداً [٣].

وربما حان الوقت للتفكير في إيجاد علاقات مباشرة وغير مباشرة بين أكبر قضيتين تشغلان المحافل العلمية في الوقت الراهن ألا وهما قضيتا التنمية المستقلة والتراث، فأصبح التراث يمثل مخرجاً ومرتكزاً لتنطلق منه عملية التنمية لعلها تجد الأرضية الخصبة لبناء مشروعاتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية [٤].

وفي الأمثال الشعبية:" من كان وريثك لا تحاسبه "، ومن أمثلة الموروثات الشعبية تعليم المرأة ابنتها الخياطة والتطريز والغزل والنسيج والعجن والطهي، وتدريب الرجل لابنه على عادات الفروسية والكرم واستقبال الضيوف وعمل القهوة لهم، ومجالسة الرجال والوجهاء ومعرفة أمور القضاء العشائري والقوانين

---

(١) محمد أحمد. **مرجع سابق**. ص١٥-١٦.

(٢) عبد الحكيم بدران. **الإعلام والتوعية العلمية** ( القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٧) ص١٨٩.

(٣) محمد الأسعد. **الفن التشكيلي الفلسطيني** ( اللاذقية: دار الحوار للنشر، ٢٠٠٠) ص١٤.

(٤) موزة غباشي. **دراسات في التراث الشعبي لمجتمع الإمارات**. ط١ ( الإمارات: دار القراءة للجميع، ١٩٩٤) ص٧.

والأعراف القبلية، وكذلك معرفة الفلاحة وزراعة الأرض وتربية المواشي من أجل العيش والرزق، ومن هنا نرى أهمية التراث في نقل كل ما هو جميل من العادات والقيم والأخلاق الحميدة من جيل إلى جيل، والحفاظ على التراث هو حفاظ على القومية، والهوية الوطنية واللغة من التلف والضياع [١].

في هذا التراث من القيم والمبادئ ما يجعل هذه الأمة تفخر بأنها قدمت للفكر الإنساني في مسيرة تطوره ما تقدم به خطوات في سلم الرقي، وهي تلك الفترة التي استظلت فيها مصر بالإسلام، لقد خلفت هذه الفترة تراثاً حضارياً قلما تتمتع أمة من أمم الأرض بمثله، يتمثل ذلك في إبداعها الأدبي والفني والثقافي، ففي تراثنا الأدبي نجد كماً هائلاً من الشعراء والأدباء عبروا عن تجارب الإنسان في عصورهم، وصوروا لنا هذا الإنسان في قوته وضعفه، في صراعه مع الحياة وفي صراع الحياة معه [٢].

ومفهوم الأصالة يتضمن ويستغرق مفهوم المعاصرة، ولا يقف نقيضاً له، وذلك لأن الاستنتاج المنطقي أن ما ندعوه " معاصراً " أي غريباً لا يعدو كونه تفرد المجتمعات الغربية وطوابعها الخاصة التي وسمت بها أعمالها الفنية والأدبية والثقافية عموماً، ولم تخرج هذه الطوابع عن حدود مجال مكاني وزماني محدد بمشكلات الحضارة الغربية وحلولها [٣].

ومن المؤكد أن التراث، لا يمكن أن يكون كله خيراً، لأن ذلك يتنافى مع طبيعة الأشياء ونحن نرى بعض الأمور التي يتضمنها التراث قد جاوزها الزمن، ولم تعد صالحة لعصرنا ولهذا يصبح التمسك بها نوعاً من التعصب الأعمى الذي يكون ضرره أكثر من نفعه، إنه يصيب الأمة بالجمود، والجمود يؤدي إلى التخلف، ونتيجة ذلك كله الفناء، لكن من المهم أن نفهم أن تجارب السابقين ليست كلها صالحة، ولو كان الأمر كذلك لما وجدنا تمسك شعوب أخرى بمثل هذه التجارب وتطويرها والإفادة منها.

وإن الشعوب تشعر الآن بأهمية الاحتفاظ بالتراث الوطني، هذا ما عملت به من زمن قديم الأمم الغربية بشان مظاهر حياتها الشعبية، وما شرع فيه أخيراً بعض الأمم الشرقية كاليابان وتركيا فهي تجمع في متاحف أنتوجرافية وأنتولوجية طائفة من الثياب والحلي والمصوغ والشارات والأوسمة والأشياء التي يستعملها الشعب في

---

( 1) http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-1801.html

(٢)الفضائيات العربية ومتغيرات العصر. **مرجع سابق.** ص٥٥٩.

(٣) محمد الأسعد. **مرجع سابق.** ص١٤.

قضاء مطالبة وتحتفظ بمجموعات من الأقراص التي سجلت عليها الأغاني العامية [١]
.

## التراث الشعبي

ظهر في ثقافتنا المعاصرة مصطلح " التراث الشعبي " كمصطلح يدل على مواد التعبير المتوارثة الحية والمعاشة، بل أصطلح أيضاً على استخدام " التراث الشعبي الحي " كتأكيد لهذه الحيوية باعتبار أن عناصر من هذا التراث تضرب في عمر الزمان إلى أكثر من ألفي عام أو تمتد أصولها الحضارية إلى ما هو أبعد من ذلك، عموماً يعتمد المصطلح في العالم العربي على قاعدة من العموميات[٢] ويشير مفهوم التراث الشعبي بصفة عامة إلى عناصر الثقافة الشعبية التي تتناقل من جيل لآخر[٣] عن طريق التنشئة الاجتماعية داخل مجتمع معين، أو جماعة اجتماعية محددة، ويستخدم التراث الشعبي مرادفا لمعنى الثقافة اليومية التقليدية أو الثقافة الشعبية [٤] التي تنتقل اجتماعيا [٥].

ويقصد بالموروث الشعبي العربي الحصيلة الشعبية المتبقية من الممارسات الشعبية لأبناء المنطقة كلها عبر التاريخ يتناقل شفاهاً وعبر قنوات متعددة وغير مرئية ولا مرصودة في المراحل الأولى للثقافة الشعبية المتوارثة [٦].

ويشكل التراث الشعبي بجوانبه المتعددة المرجعية الأكثر دقة وصدقاً في رسم صورة حية ونابضة ومتحركة للمجتمع الذي أبدع هذا التراث وتعايش معه عبر مئات السنين [٧].

ومفهوم التراث الذي يردده شعب بأسره منذ فترة زمنية طويلة استطاع أن ينسجها ويسجلها عبر صراعه وتجاربه مع وسطه البيئي، وهناك حتمية العناصر

---

(١) محمد جمعة. **حاجة الشعوب إلى جمع مأثوراتها الشعبية. مراجعة:** رابح جمعة (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٩) ص٤٠.

(٢) مصطفى مبارك. **مرجع سابق**.ص٤٦.

( ٣) أيكة هو لتكرانس. **قاموس مصطلحات الأنثولوجيا والفولكلور. ترجمة:**محمد الجوهري. حسن الشامي، ط١ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٢)ص٨٨.

( ٤) شارلوت سيمور سميث. **موسوعة علم الإنسان: المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية. ترجمة:** مجموعة من أساتذة علم الاجتماع (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٨) ص٣٤٣.

(٥) محمد الجوهري. **علم الفلوكلور**. ج١، دراسة في الأنثروبولوجيا الثقافية ط٣، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٨) ص٥٣.

(٦) فاروق خورشيد. **الموروث الشعبي** (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٢) ص٢٤.

( ٧) التراث الشعبي. **في:** مجلة التراث والمجتمع. ع ٣١ ( البيرة – فلسطين: مركز التراث الشعبي الفلسطيني،نيسان ١٩٩٨) ص٨٩.

الجغرافية مع نسيج التراث الشعبي بجميع مجالاته، ولا نغالي في ذلك لو تذكرنا أن التراث معناه وقوامه "القديم" أو "الزمن الأول" إذا جاز التعبير أي ما نسجه الإنسان من إبداعات ثقافية مادية ومعنوية كرد فعل لظروف البيئة الجغرافية المحيطة به منذ بداية النشأة الأولى التي لم يكن له فيها قدرة على الفكاك من واقع البيئة الجغرافية(١).

والتراث الثقافي الشعبي ظاهرة اجتماعية قادرة على تقديم تجارب وخبرات الأجيال السابقة في تعاملها مع مواقف الحياة اليومية كما كان قادر على تحريك جميع أفعالنا الحاضرة وتزويدنا بالحلول الجاهزة لمواجهة ما يمكن أن يعترينا من مشكلات أو أزمات (٢).

وإن كلمة " تراث " في الآداب الأوروبية تعني عناصر الثقافة التي تناقل من جيل إلى أخر وفكرة انتقال شيء ما عبر الزمن هي المضمون الأصلي للمصطلح، ولكنه يتفرع من ثلاثة اتجاهات ويمكن تفسير مصطلح تراث إلى (تراث شفاهي - تراث شعبي - كرواية شعبية) وهذا يعني أن مصطلح تراث يتحدد في ضوء السياق الذي يستخدم فيه، و هذا يعني بالضرورة أن الاستخدام العلمي لمصطلح تراث في الثقافة الإقليمية الأوروبية لا يجب أن ينطبق على العالم العربي. فلكل ثقافة تاريخها المميز ومراحل تطورها، وفنونها وآدابها التي تختلف من بلد إلى آخر (٣).

والتراث الشعبي فيه مقاصد في جمعه بحفظ الهوية الوطنية الفلسطينية لأن التراث الشعبي هو أصدق ما يقال لأنه يخرج عفوياً ولا يعرف صاحبه وأصدق من الشعر وأصدق من الكتابة لأنه يخرج عفو الخاطر والناس العاديين أثناء الأعراس، وأثناء الاحتفالات والأعياد مثلاً بعض العادات والتقاليد هذه تحدث عفوياً ولا يعرف قائلها لذلك لا تنسب لفلان ولفلان، ولذلك هي صادقة دائماً تعبر عن روح الشعب، تعبر عن شخصيته عبر التاريخ، والتراث الشعبي يجب الاهتمام به أكثر بكثير مما نحن عليه، لأن هذا التراث هو جزء من الشخصية الوطنية ومعبر عن شخصيتنا لذلك يحاول الصهاينة سرقت هذا التراث بأي شكل من الأشكال حتى يمحو هوية الشعب الفلسطيني من الوجود فلذلك يجب الاهتمام به اهتماماً كبيراً (٤).

فالتراث تلاحم عضوي وفكري بين عراقة الماضي وأمجاده بثقافة الحاضر ليخلق هذا التفاعل بينهما قوة دافقة وطاقة دافعة نحو المستقبل في اتجاه صحيح وزاهر، وهذا الإدراك بالوعي التراثي السليم من أبنائه في المقام الأول يحمينا ضد

---

(١) سليم المبيض. **الجغرافيا الفولكلورية للأمثال الشعبية الفلسطينية** (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٦) ص٤.

(٢) محمد إبراهيم. **الثقافة الشعبية: الثبات والتغيير** ( الإسكندرية: دار المعرفة، ٢٠٠٩) ص٦٩.

(٣) مصطفى مبارك. **مرجع سابق**، ص٢٧-٢٨.

( 4) http://www.irib.ir/worldservice/ArabicRADIO/pages/culture/Leghaat/Legha06.htm

الاغتراب وتشويه الاستشراف وضد الانخداع بلمعان " الفكر الحديث " دون هضمه وغربلته [١].

## التراث والفلكلور

وتنتسب أغلبية المراجع العلمية الفولكلورية إلى العلامة الإنجليزي (ولمياك جون تومز) الذي يرجع الفضل إليه في صياغته، وتحديد ماهيته، ويتألف مصطلح فولكلور من مقطعين بمعنى الناس أو الشعب وهي من الكلمة الإنجليزية القديمة وبمعنى معرفة أو حكمة، أي أن المعنى الحرفي للكلمة يعني " حكمة الشعب " [٢].

**والفولكلور Folklore** مصطلح غربي يعني التراث الشعبي، وكل ما يندرج تحت باب التراث من الفنون الشعبية المختلفة، والكلمة مكونة من شقين Folk وتعني قوم أو شعب وLore تعني التراث والمعتقدات التقليدية، وبمجملها تعني التراث الشعبي، ولا ننصح باستعمال مثل هذه الكلمات لأن في لغتنا العربية المرنة، ما يسدّ مكانها ويعبر بشكل أفضل مما تعبر هي بعبارات بسيطة لا نجد صعوبة في فهمها وتبيان معناها [٣].

**والفولكلور** مجموعة من المعارف والخبرات والفنون عبر الإنسان بواسطتها عن أحاسيسه ورغباته وتجربته، وجعلها هدياً له في تنظيم أموره الحياتية والاجتماعية ويحافظ المجتمع على نقلها من جيل إلى الجيل الذي يليه [٤].

والفولكلور في العالم كله وعند كل شعب من الشعوب على حدة هو وجودها الثقافي التلقائي الموروث، إذ هو حصيلة نشاطها العملي والفكري القائم على استغلال ظروف البيئة والمناخ والمتأثر مع البيئة والمناخ بعوامل النحت الاجتماعي والتغير السياسي والنمو الاقتصادي معاً.

وعكس الفولكلور المادي من متبقيات المصنوعات البدائية الأولى، من أدوات الحياة والصيد والزراعة جهد الإنسان البدائي الخارق في تطويع الوجود المادي حوله لإرادته وجهده البناء في استغلال كل موجودات الطبيعة للإبقاء على حياته، وحياة الجماعة التي ينتمي إليها كما سجل صراعه الدرامي في الانتقال من مرحلة تكثيف جهوده للنفع وحده، إلى تطوير هذه الجهود لتعكس حسه الجمالي الذي أنعكس على أدواته الحياتية النفعية فجملها وزينها، منمياً قدراته الأخرى المكنونة فيه، من خيال

---

(١) سليم المبيض. **الحصيدة في التراث الشعبي الفلسطيني** ( القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠) ص٧.

(٢) مصطفى مبارك. **مرجع سابق**. ص٣٥.

( 3 ) http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-1801.html

(٤) نبيل علقم. **الفولكلور** ( رام الله: جمعية إنعاش الأسرة، ١٩٧٦) ص١٤.

وعاطفة، وشوق إلى الجمال، فاتسمت مصنوعات هذه المرحلة وأدواتها بأنها جمعت بين النفع والجمال [١].

ويبدو أن الطابع الشفهي للفولكلور، هو المحك الهام لتميزه " و هذه الميزة لا يلفت لها مؤيدو التراث " لكن كل ظاهرة فولكلورية إذا ما تجسدت في صورة مادية، غدت في الواقع من ظواهر الفن الشعبي والأقنعة، والعمارة، وجميع الأشكال التشكيلية التي تنتمي بصفة عامة إلى الثقافة المادية تدخل في إطار فئة قريبة من الفولكلور، وهذه النقطة غاية في الأهمية، وهي تعني بوضوح أن الفولكلور يمكن أن نجده في الثقافة المادية والروحية معاً.

إن التراث والفولكلور يتفقان في أنهما ينحدران من الماضي السحيق، ولكن الفولكلور لازال يتطور، أو يعيش في المجتمع ويتفاعل معه، و هو ملتصق بالثقافة الشعبية التي تنتقل من جيل إلى آخر شفاهة، كما أن الفولكلور يمتاز بفنيته [٢].

و هو يشبه العلوم التاريخية والاجتماعية في كونها تسعى جميعاً إلى جمع الحقائق أولاً ثم تفسيرها بالاعتماد على نظرية معينه قد تتعدل أثناء البحث على ضوء حقائق جديدة، ولقد وصفه " ألكسندر كراب " بأنه علم، لأنه يحاول أن يصل إلى أغراضه، لا عن طريق التأملات والاستنتاجات المبنية على أفكار مجردة يسلم بها سلفاً، بل باستخدام طرائق القياس التي تحكم التحليل الأخير لسائر الأبحاث العلمية الطبيعية أو التاريخية [٣].

ونرى الكثرة من المتخصصين في الفولكلور اليوم وأن كل عصر يترك أثره في المادة الفولكلورية، وأن الفولكلور يتعدل ويتغير بعضه في كل عصر وبهذا يمكن القول أن المادة الفولكلورية، مادة متطورة غير جامدة، فيها جزئيات تعود إلى عشرات السنين، والجزئيات المختلفة في الفولكلور تتعايش معاً بانسجام، إذ تموت تلك التي تفقد القدرة على البقاء وتظهر جزئيات أخرى جديدة حسب الظروف الحضارية في كل عصر من العصور، فالعناصر الثقافية تتسم بالمرونة، إذ أنها ليست موروثات جامدة [٤].

---

(١) فاروق خورشيد. **أدب السيرة الشعبية**.ط١ ( القاهرة: المصرية العالمية، ٢٠٠٢) ص٣٤.

(٢) مصطفى مبارك. **مرجع سابق**. ص٤٥.

(٣) الكسندر هجرتي كراب. **علم الفلكلور**. **ترجمة:** أحمد صالح ( القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٦٨) ص١٨.

(٤) عبد الحميد يونس. **دفاع عن الفولكلور** ( القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣) ص١٣.

والفولكلور كما يقول الأستاذ أحمد رشدي صالح: إبداع شعبي يجمع بين القديم والجديد وكل ما ينبض على خاطر المجتمع الحديث هو جزء من الفولكلور [١].

وفي ذلك يقول أحد العلماء الألمان: أن دراسة التراث يجب أن تكون المنطلق لدراسة الفولكلور فليس المهم هو التراث الشعبي، وإنما الناس الكامنون وراء هذا التراث[٢].

وتكاد الوظائف المتعددة التي تؤديها المواد الفولكلورية المختلفة أن تكون متشابهة إلى حد كبير على الرغم من اختلاف الشكل والظروف التي تستخدم فيها هذه المواد [٣].

وإن دراسة الفولكلور أو المأثورات الشعبية تعتمد في مضمونها العام دراسة أسلوب التعبير الفني وأنماط السلوك الجمعية لشعب من الشعوب أو لجماعة من الجماعات [٤].

وهكذا باتت دراسة الفولكلور تنطوي على أهمية متعددة الجوانب، فعلم الفولكلور يسعى مع غيره من العلوم الاجتماعية إلى جعل حياة الإنسان أكثر استمراراً، وخاصة وأن إنسان هذا العصر يعيش أزمة حضارية، ناجمة عن فقدان التوازن، بين سرعة التقدم التقني وبين التقدم البطيء في العلوم الإنسانية، وتتمثل هذا الأزمة الحضارية في شتى الآثار الناجمة عن مختلف أشكال الصراعات التي تطبع العصر بطابعها العميق، وبشكل لم يكن له مثيل فيما مضى فإنسان هذا العصر أحوج ما يكون إلى إعادة ثقته بالقيم الأخلاقية والمثل العليا التي تشكل جاذباً أساسياً من الفولكلور [٥].

## التراث و( النص والتاريخ )

في الحديث عن التراث الماهية والمفهوم، ينبغي أن نميز بين ثلاثة مفاهيم تتشابك فيما بينها ويختلط فيها الحديث بطريقة ملتبسة، تؤدي إلى حالة من سوء الفهم، وإلى تفسيرات خاطئة هذه المفاهيم هي: التراث، النص، التاريخ ولعل منشأ الالتباس وسوء الفهم في النظر إلى هذه المفاهيم، هي أنها تنتمي من حيث المصدر إلى الزمن الماضي.

---

(١) أحمد صالح. **المأثورات الشعبية والعالم المعاصر. في:** مجلة عالم الفكر القاهرة: ع١.١٩٨٠، ص٦٥.

(٢) **قاموس مصطلحات الأنثولوجيا والفولكلور**. ص٩٥.

(٣) أحمد مرسي. **الأغنية الشعبية: مدخل إلى دراستها** ( القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٣) ص١٨٣.

( ٤) أحمد مرسي. **كل يبكي على حاله: دراسة للعُديد.** ط١ ( القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٩) ص٧.

(٥) لويس عوض. **ثقافتنا في مفترق الطرق** ( بيروت: دار الآداب، ١٩٧٤) ص٤٠.

والتراث له صفة المنجز الفكري الإنساني، و هو من حيث الطبيعة له خاصية النسبي المتغير الذي يقبل الصواب والخطأ على مستوى النظر، وموافقة الحق والواقع أو مخالفتهما على مستوى العمل ومصدره الإنسان، ومجاله الفكر.

أما النص فهو ما كان مصدره الوحي كتاباً وسنة، وصفته التنزيل الإلهي، ومن حيث الطبيعة له خاصية المطلق والثابت، الذي لا يقبل إلا الصواب، وموافقة الحق والواقع.

وأما التاريخ فإن مصدره ومجاله هي الوقائع والحوادث والحوليات التي تؤرخ للأشخاص والأحداث والقضايا في كافة مجالاتها وأبعادها، ومن هذه الجهة يكون التاريخ أوسع وأشمل من التراث الذي يتقيد ويتحدد بالمجال الذي يتصل بالفكر والمعرفة والعلوم، في حين أن التاريخ يتصل بكل الحوادث والوقائع التي حصلت في الماضي على اختلاف مجالاتها وموضوعاتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحربية وغيرها.

وحسب تلك الحدود المعرفية فإن التراث يقبل الزيادة والإضافة، ويقبل أيضاً النقد والنقض وحتى الطرح والإسقاط، فلا نقبله بكليته وعموميته، وبدون فحص ونقاش، ولا نرفضه بكليته وعموميته أيضاً بدون فحص ونقاش، والحاجة إلى الفحص والنقاش لكي لا يكون الأخذ والرفض محكوماً بمعايير الرغبات والعواطف، أو باقي المؤثرات والضغوطات الأخرى، وإنما ليكون الفحص والنقاش مستنداً على أسس علمية ومنهجية تنظم العلاقة مع التراث، وهذا يعني أن التراث ليست له قداسة النص، هذه هي الإشكالية الملتبسة التي أعاقت طرائق التعامل مع التراث، وجعلت من التراث يتحول إلى سلطة فكرية وثقافية ودينية يكون من الصعوبة التعامل معه [١].

ورغم الفارق بين مصطلحي التراث (PATRIMAOINE) و (HERITAGE) إن المرجعية الأوروبية لا تصلح لقراءة الموروث العربي، باستثناء الاستفادة من بعض المنهجيات الأوروبية فالمفاهيم تختلف لهذا فإن تطبيق المرجعيات الأوروبية لمفاهيم الثقافة الشعبية يقتضي توطين المناسب من هذه المرجعيات بعيداً عن القداسة الحرفية [٢].

## الأنثروبولوجيا – Anthropology

وهو علم يبحث في أصل الجنس البشري وتطوره وأعراقه وعاداته ومعتقداته، وهذا المصطلح يستخدم كثيراً في الأبحاث التراثية المختلفة [٣].

---

( 1) http://www.alghad.jo/?news=33554

(٢) محمد السهلي. **موسوعة المصطلحات والتعبيرات الشعبية الفلسطينية**. ط١ (عمان: مركز جنين للدراسات الإستراتيجية، ٢٠٠١) ص١.

( 3) http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-1801.html

والتراث الاجتماعي والاقتصادي يضم نوع من الحياة التي كان يحياها أجدادنا في عاداتهم وتقاليدهم، وأنواع الأطعمة التي كانوا يتناولو ها والألبسة التي كانوا يلبسونها وطرقهم في التكسب وفي السكن وفي الاحتفال بالأعياد والمواسم، واستعداداتهم للطوارئ والكوارث الناشئة عن الحروب والأخرى الناجمة عن الطبيعة وكثير من هذه العادات التي تفرض نفسها علينا في حياتنا الحاضرة وأصولها العريقة [١].

## التراث والتعليم

أكد معظم مفكري القرن العشرين على ضرورة مراعاة الجذور الثقافية عند صياغة السياسات التعليمية ووضع الأهداف التربوية، وأن هناك ثلاث جوانب رئيسية لطبيعة التعليم وأهدافه التراث والمشاركة والإسهام، فالتعليم على الرغم من أنه يركز على المستقبل فأنه لا يهمل الماضي، بل أنه يعتني بالتراث ليستخرج منه عناصر القوة التي يخدم عن طريقها الحاضر والمستقبل، وتؤثر الثقافة العلمية بصورتها الشاملة على كل مجتمع من خلال تأثيرها على الإنتاج الذي يحتاج إلى حد معين من الكفاءة في توليد المعرفة العلمية والمهارة وستظل المجتمعات إن عجزت عن الوصول للمعرفة لتبعية البلاد المتقدمة تلك التبعية التي يكرسها بشتى الطرق حيث أن الثقافة الغربية في البلاد النامية هي التي مكنت البلاد الأوروبية من تحقيق انجازاتها العلمية والتقنية (٢)، لذلك يجب توسيع المدارك بالنواحي الثقافية لقبول جميع أنواع الإبداعات من موسيقى وتأليف والتصوير والمواهب وغرائب الطبيعة والتاريخ الثقافي والفني والمسرح والحرف الشعبية والتراث [٣].

## أنواع الثقافة

يمارس المثقفون دوراً مزدوجاً مع وسائل الإعلام فهم مستهلكون لما تقدمه وسائل الإعلام وهم أيضا منتجون لمضامينها وفي هذا الإطار لابد من التفريق بين ثلاث أنواع من الثقافات [٤]: الثقافة الراقية high culture، والثقافة الشعبية popular culture، والثقافة الجماهيرية mass culture.

**فالثقافة الراقية**: هي ثقافة الصفوة التي سجلت بالكتب الدراسية والأدبية والفنية وفي الأعمال الفنية الراقية التي أنتجت للنخبة المتعلمة.

أما **الثقافة الشعبية**: تتسم بالتلقائية التي يصنعها الشعب وتنمو نموا وتصنعها

---

(١) محمد أحمد. **مرجع سابق**. ص٥-٦.
(٢) عبد الحكيم بدران. **مرجع سابق**، ص١٩٥.
(٣) أحمد عبد الملك. **فضائيات**. ط١ ( عمان: دار مجدلاوي، ٢٠٠٠) ص١٢٧.
(٤) صالح أبو أصبع. **تحديات الإعلام العربي**. ط١ ( عمان: دار الشروق، ١٩٩٩) ص١٩٣.

الجماهير لتعبر بها عن نفسها من خلال مواهب طبيعية لدى الفنان الشعبي، وتتسم بالتلقائية وتنمو من القاعدة.

**فالثقافة الشعبية** كانت حتى قيام الثورة الصناعية ثقافة الجماهير العادية التي تنفصل عن الثقافة الرفيعة، وكانت تلك الثقافة الشعبية تأتي من أعماق الجماعة تعبر بتلقائية أصيلة عن أحاسيس أفراد الجماعة دون أن يستعينوا في ذلك بالثقافة الرفيعة التي لا تتناسب واحتياجاتهم الخاصة، أما الثقافة الجماهيرية فقد جاءت مفروضة من أعلى، وقام بصنعها الفنيون الذين استأجرهم رجال الأعمال أو الساسة لفرض سيطرتهم السياسية على الجماهير من خلال الأنماط الفكرية الموجهة [١].

وكان فصل الثقافة الشعبية عن الثقافة العليا قبل ظهور وسائل الاتصال الجماهيرية يتفق مع الخط الجماعي الحاد الذي رسم في وقت ما ليفصل بين أفراد الشعب والطبقات الأرستقراطية وقد عمدت الديمقراطية السياسية إلى تحطيم الجدار الذي يفصل بين الثقافة الرفيعة والثقافة الشعبية وأصبحت وسيلتها إلى ذلك هي الثقافة الجماهيرية، وقد خلطت الثقافة الجماهيرية بين الثقافات وخلقت ما يمكن إن يسمى بالثقافة المتآلفة، يمكن أن يرفع من مستوى الثقافة الجماهيرية كما أنه يمكن أن يزيدها هبوطاً وهذا يتوقف على عدة عوامل في مقدمتها قرب المسافة أو بعدها بين ثقافتي الصفوة والغالبية، كذلك السياسة الثقافية في المجتمع [٢]، ويتسع مصطلح الثقافة الشعبية ليشمل إنتاج الجماعة الشعبية بشقيه الذهني والمادي ويتمثل الشق الذهني للثقافة الشعبية في العادات والتقاليد والأدب واللغة التي تتناقلها الجماعة الشعبية جيلاً وراء جيل كما يمثل الشق المادي للثقافة الشعبية في شتى الأدوات والمخترعات التي تستخدمها الجماعة الشعبية في حياتها العملية [٣].

**الثقافة الجماهيرية**: وهي تستمد مضمونها من المزاوجة بين الثقافة الراقية والثقافة الشعبية وهي التي تقدمها لنا وسائل الاتصال الجماهيري المقروءة والمسموعة والمرئية كالراديو والأفلام والتسلية والقصص التلفزيونية والسينما، وهي معدة للاستهلاك الجماهيري بالتماثل وتعمل على إرضاء أذواق الجماهير وتعمل على توحيدها وهي ثقافة مفروضة على الجماهير من أعلى فالثقافة الجماهيرية هي الوسائل التي تبثها وسائل الإعلام الجماهيري غير موجهة إلى طبقة محددة.

---

(2) Gurevith, Michel and Others (ed): **Culture Society And The Media**. London، Methuen & Co, Ltd, 1982, p. 367.

(٢) علي عجوة. **الإعلام وقضايا التنمية**. ط١ ( القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٤) ص١٥١.

(٣ ) الأخر في الثقافة الشعبية. **تأليف:** سيد إسماعيل ضيف الله. **تقديم:** أحمد مرسي ( القاهرة: مركز القاهرة لحقوق الإنسان، ٢٠٠١) ص٣٠.

وتشير الثقافة الجماهيرية إلى الإنتاج الثقافي الذي يقدم إلى جمهور وسائل الاتصال الجماهيرية المعروف بالمجتمع الجماهيري Mass Society ، واستمدت الثقافة الجماهيرية مضمونها من ثقافة الصفوة والثقافة الشعبية، وكانت ثقافة الصفوة قبل انتشار وسائل الاتصال الجماهيرية في القرن التاسع عشر منفصلة تماما عن الثقافة الشعبية، ولكن الثقافة الجماهيرية التي استمدت مضمونها من ثقافة الصفوة والثقافة الشعبية أصبحت تختلف تماماً عن هاتين الثقافتين [١].

## مكونات الثقافة العربية الإسلامية

تنقسم مكونات الثقافة العربية إلى ثلاثة هي: الثقافات الشعبية - الثقافات الدينية - الثقافات الحديثة (المعاصرة) و الثقافات الشعبية تنقسم إلى أربعة أقسام رئيسية هي: المعتقدات، العادات والتقاليد، الآداب والفنون والعلوم، وعناصر الحياة المادية، ويمكن عرض هذه المكونات بالنسبة للثقافة الشعبية العربية على النحو التالي:

١- **المعتقدات الشعبية العربية**: يقصد بالمعتقدات الشعبية أنها المعتقدات التي يؤمن بها الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجي و هي معتقدات تكون نابعة من نفوس أبناء الشعب عن طريق الكشف أو الرؤية أو الإلهام أو أنها كانت أصلا معتقدات دينية إسلامية أو مسيحية، ثم تحولت في صدور الناس إلى أشكال أخرى جديدة بفعل التراث القديم الكامن على مدى الأجيال [٢].

٢- **العادات والتقاليد الشعبية العربية:** العادات والتقاليد هي فعل اجتماعي متوارث يرتكز على تراث يدعمه ويغذيه لها قوة معيارية تتطلب الامتثال الجماعي والطاعة الصارمة وتكون مرتبطة بظروف المجتمع التي تمارس فيه، **وهناك الأعياد والمناسبات وتشمل:**

- **الأعياد الدينية**: رأس السنة الهجرية - أوائل الشهور العربية عاشورا - مولد النبي - شهري رجب وشعبان - شهر رمضان - العيدان – الحج.
- **الأعياد القومية**: وفاء النيل - شم النسيم - ليلة النقطة - العيد القومي - عيد الأسرة - عيد العمال.
- **المواسم الزراعية**:العادات المرتبطة بمواسم الحصاد مثلا.
- **الفرد في المجتمع المحلي** وتشمل المراسم الاجتماعية وتضم مراسم الاستقبال والتوديع والعلاقات بين الكبير والصغير والغني والفقير والذكر والأنثى والعلاقات بين الفرد والمجتمع والطبقات والمهن.

---

(١) جيهان رشتي: **الأسس العلمية للنظريات الإعلامية**. ط١ ( القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٥) ص٣٩٠

(٢) أمين عبد الغني. **الثقافة العربية والفضائيات**. ط١ ( القاهرة: ايتراك، ٢٠٠٣) ص٦٨.

٣- **الأدب الشعبي والفنون الشعبية**: الأدب الشعبي هو الإبداع الشعبي في مجموعة الفنون الأدبية وتنقسم الفنون الشعبية إلى أربعة أقسام هي (١):

**أ - الموسيقى الشعبية**

**ب- الرقص الشعبي والألعاب الشعبية**

**ج- الدراما الشعبية**

**د- فنون التشكيل الشعبي**

أشغال يدوية على الخامات المختلفة: الأثاث والأواني - الأزياء – الوشم - أشغال التوشية - الدمى والتعاويذ - الحلي والرسوم الجدرانية - أدوات الزينة.

٤- **عناصر الحياة المادية وتشمل**: العمارة الشعبية وأدوات العمل والأدوات والمعدات المنزلية والحرف والصناعات الشعبية.

ويعرض الدكتور "حامد عمار" لبعض الموضوعات والتي تعتبر من العناصر الأساسية في مكونات الثقافة العربية والإسلامية، وما ينبثق عنها من محاور تفصيلية لبرامج القمر الصناعي العربي، وهذه الموضوعات هي بالضرورة متشابكة، ويمكن معالجتها في سلسلة متنوعة من الإنتاج والإخراج شريطة أن يكون فيها طابع التشويق والجدية والتحدي لفكر المشاهد ووجدانه و هذه الموضوعات يمكن إجمالها في التعريف بواقع الأقطار العربية ومجالات وحدود التفاعل الثقافي السائد في الوطن العربي وحركة التاريخ السياسي والاجتماعي للإسلام ومصادر التراث الثقافي ومكوناته الفكرية والوجدانية والسلوكية وتقييم جهود السلف في مواجهة التحديات ثم مدى أهمية كتب التراث وموقعها من الإسهامات العلمية في إطارها الزمني،وأيضاً في إطار المعرفة المعاصرة ودور الفقهاء والعلماء واجتهادهم في إيجاد الحلول المناسبة للمشكلات المعاصرة (٢).

والثقافة العربية هي امتداد للثقافة العربية الإسلامية في الماضي و هي حاضر لثورة تنسجم مع متطلبات مرحلة النهضة القومية التي تجتازها الأمة العربية (٣) وهي عنوان لشخصية الأمة العربية وتكمن عظمة هذه الثقافة في التزاوج بين العروبة والإسلام فالعرب مادة الإسلام حملوا لواءه والإسلام وحد العرب وعزهم حتى رفعوا أعلامه في مشارق الأرض ومغربها (٤).

لذلك يوجد ارتباط وثيق بين الهوية الثقافية العربية والهوية الثقافية الإسلامية، فالثقافة العربية واحدة من بضعة ثقافات قومية انتشرت بظهور المسيح وانتشار الإسلام، وعلى أية حال كانت الثقافية العربية هي المستودع الرئيسي للفكر

---

(١) **المرجع السابق**، ص٧١.

(٢)محمد مهنا. **في النظرية العامة للمعرفة الإعلامية** ( القاهرة: المكتبة الجامعية، ٢٠٠٢) ص٢٩٣.

(٣) حسين أبو شنب. **مدخل إلى فن الراديو والتليفزيون.** ط١ ( غزة: دار المنارة، ١٩٩٨)ص١٣٠.

(٤) حسين خريس. **بين العروبة والإسلام**. ع٢**في:** مجلة شئون عربية. تونس، ١٩٨١، ص١٤٦.

الإسلامي، بل مازالت حتى اليوم فالإسلام رسالة عالمية تناشد الناس البعد عن العنصرية ورفض الظلم الاجتماعي، كانت الشخصية الثقافية والعقلانية للعرب توافق مع هذه المبادئ الإسلامية، ولذلك كانت الرسالة الإسلامية مصدر جذب للناس فتسابقوا إليها وتعلموا العربية وقرئوا القرآن الكريم ودرسوه، وقد ازدهرت الدعوة الإسلامية في القرون الستة الأولى لانتشار الإسلام حيث طور المسلمون دراسات حول القرآن الكريم وعلم اللغة واستفادوا من شتى مجالات المعرفة الإنسانية التي أنجزتها الحضارات السابقة، واستطاعوا ترجمة ما وقع بين أيديهم في هذه المجالات إلى العربية، بل ابتكروا بعض الدراسات الهامة في العلوم النظرية والتطبيقية وجلوا التعليم وعلموا أولادهم المسلمون وغير المسلمين وازدهرت الجامعات ومختبرات البحث عبر الدول الإسلامية [١].

وللعرب باحثين جادين في مجالات المعرفة كافة، لكن ما الذي كان يحفزهم على ذلك ؟ أنهم كانوا ذوي خلفيات اثنوجرافية متعددة، جاءوا مع تحت مبدأ عالمية الإسلام وعقلانيته وبحثوا في كل مجالات المعرفة الدينية وحسب، فكانوا أعضاء في الجماعة العلمية الإسلامية ولهم رؤية مشتركة نحو العالم، ويتمتعون بثقافة مشتركة، وهم جزء من ثقافة عامة، وعلاوة على ذلك كان العرب رياضيين وفلكيين وصيادلة وأطباء وجغرافيين وفيزيائيين وفلاسفة ومؤرخين وشعراء وفقهاء وعلى سبيل المثال فقد ولد بينهم ابن حيان والخوارزمي وابن رشد والكندي وابن الهيثم وابن يونس والمتنبي والبحريني والبيروني وسيبويه والفراهيدي، وآلاف آخرون سعوا إلى رؤية الإسلام بشكل صحيح من خلال تحرير العقل، وتتميز الثقافة العربية بميزتان رئيسيتان هما العروبة والإسلام [٢].

ولقد تمكن الإنسان في هذه المرحلة من تجاوز المكان والزمان معاً، فقد تحولت الثقافة العفوية والتلقائية المتوارثة إلى ثقافة متوارثة حقاً، ولكنها منظمة وممنهجة ومدروسة معاً لقد تحول العطاء العفوي إلى عطاء درامي يساير تحول الإنسان من البدائية التلقائية، كما أنها مرحلة راقية في رصد الوجدان البشري، ومحاولة التعبير عنه، إذ خرجنا من الحصيلة التلقائية لثقافة الإنسان التي يتوارثها ويضيف إليها بحكم تجاربه الجديدة، وخبراته المكتسبة إلى محاولة تنظيم هذه الخبرات للتعبير عن أشواق الإنسان وطموحاته، ورصد التطور الوجداني له عبر مراحله الحضارية المختلفة [٣].

---

(1 ) www.alhewar.com/culture.htm/p:2Sadek jawad Susaiman, **understanding our culture**: A question of identity, 2003.

( 2 )**ibid**.

(٣) فاروق خورشيد. **أدب السيرة الشعبية**.ط١ ( القاهرة: المصرية العالمية، ٢٠٠٢) ص٣٤.

## الازدواج الثقافي

هناك بعض الدول تتميز بوجود ازدواج في ثقافة مواطنيها وهذا يقسم المجتمع إلى مجتمعين يختلفان عن بعضهما، فهناك ثقافة مستوردة من الخارج سواء من الدول الصناعية الغربية أو الدول الاشتراكية، وثقافة أخرى محلية عميقة الجذور وذات ماض بعيد متأصل في نفوس المواطنين، ويقول المفكر العربي المعاصر الدكتور " زكي نجيب محمود " في معرض كتابه " تجديد الفكر العربي " هناك ثقافة ذات طابع عربي صميم مستمدة ينابيعها من تراث العرب الأقدمين وثقافة عصرية مستحدثة (١).

## انتقال الثقافة بالتعليم والإعلام

ينهض التعليم بدور أساسي في تنمية المهارات، واستمرار التراث العلمي والأدبي والفني بنقله من جيل إلى جيل، ولما للتعليم من أثر كبير على النشء فقد استغلته الحكومات في تكوين الجيل الجديد على نحو معين يخدم أهدافها، كما أن الاستعمار في عصوره المختلفة لجأ إلى التعليم وبذل من جهود لمحو شخصية الأمة أو إذابتها في شخصية المستعمر، أو لكي يفصلها عن الشخصية القومية التي تنتمي إليها (٢).

فمن خلال الجامعات أو المنح التعليمية أو الأفلام والمسلسلات والبرامج الإذاعية والتليفزيونية أو كتب أو المجلات والصحف أو المعارض والمتاحف أو الفرق الموسيقية أو المسرحية أو غيرها من الفنون تحاول الدول الكبرى أن تغزو العالم، وتنشر أنماطاً جديدة أو مخططات جديدة للحياة توجه السلوك البشري في مجتمع معين بما يتفق مع ثقافة الدولة الغازية وقد أصبحت وسائل الاتصال الجماهيرية هي الأداة التي تستخدمها هذه الدول بإرادة بعض المجتمعات التي تتعرض لما تصدره تلك الدول من برامج وأفلام، كما تتعرض بعض المجتمعات لهذه المخططات رغم كل الجهود التي تبذلها لمنع هذه البرامج أو فرض الرقابة عليها أو استخدام أجهزة التشويش للحيلولة دون تعرض مواطنيها لما يبث عن طريق الموجات القصيرة (٣).

---

(١) محمد حجاب. **الإعلام والتنمية الشاملة**. سلسلة دراسات وبحوث إعلامية. ط٣ ( القاهرة: دار الفجر، ٢٠٠٠) ص٢٥.

(٢) إبراهيم أمام. **العلاقات العامة والمجتمع**. ط٢ ( القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٨) ص٢٣٩.

(٣) علي عجوة . **مرجع سابق**، ص١٤٦.

## العلاقة بين الاتصال والإعلام والثقافة

تشكل وسائل الاتصال في المجتمع الحديث أدوات فعالة لنشر الثقافة وتمارس دوراً كبيراً في التوصيل الثقافي، وانتقاء المحتوى الثقافي وابتداعه، والتبادل الثقافي، وتحقيق الذاتية الثقافية والاتصالية، والقضاء على المخاطر التي تهدد هذه الذاتية، وتحقيق الديمقراطية الثقافية الحقيقية عن طريق توسيع نطاق انتفاع الجماهير بمختلف وسائل تحصيل الثقافة وتفعيل الحق في الاتصال بمعناه الشامل، حق الفرد في أن يعلم وحقه في أن يعلم عن نفسه، وإتاحة الفرصة للمبدعين للتعبير عن أنفسهم، بما يسهم في حفز الإبداع ونشر الثقافة الرفعية [١].

وتتداخل العلاقة بين الاتصال والثقافة وتتشابك إلى الحد الذي جعل بعض الباحثين ينظر إلى الاتصال والثقافة باعتباريهما وجهان لعملة واحدة، فقد أوضح (ادوارد هول E.Hall) في كتابه عن اللغة الصامتة (أن الثقافة اتصال على اعتبار أن العادات والتقاليد والتراث والخبرات والقيم والمعارف المختلفة كلها تنتقل بين الأشخاص والجماعات والأجيال)، وهذا الانتقال والنقل ما يعطيها صفة الاستمرارية والبقاء في الوجود [٢].

ويعتبر الاتصال أداة فاعلة في إحداث التغيير الثقافي داخل المجتمع كما قد يمتد تأثيره من مجتمع إلى مجتمعات أخرى، والفضل في ذلك يرجع إلى تطور تكنولوجيا الاتصال والاتصال له تأثير قوي على التنظيم الاجتماعي والتجمعات الإنسانية، وبذلك فإن السيطرة على الإعلام إنما تعني السيطرة على كل من وعي المجتمع والتنظيم الاجتماعي [٣].

والاتصال هو العنصر الأساسي في الحياة البشرية الذي يجعلها ممكنة وهي وعاء الثقافة وناقلها وهو أيضا أسلوب التعبير عنها، ووسائل الاتصال لها الدور الأساسي في حماية الثقافة ونقلها وتغيرها أيضاً، وهي كما يرى تقرير اليونسكو " أن وسائل الاتصال هي أدوات ثقافية تساعد على دعم المواقف أو التأثير فيها وعلى حفز وتعزيز ونشر الأنماط السلوكية وتحقيق التكامل الاجتماعي وهي تمارس أو يتعين عليها أن تمارس دوراً أساسياً في تطبيق السياسات الثقافية وفي تيسير إضفاء طابع ديمقراطي على الثقافة وهي تشكل بالنسبة لملايين من الناس الوسيلة الأساسية في الحصول على الثقافة وجميع أشكال التعبير الخلاق كذلك، وللاتصال دور في تدبير

---

(١) منى الحديدي وشريف اللبان. **فنون الاتصال والإعلام المتخصص.** ط١( القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٩)ص٣١.

(٢)أحمد أبو زيد. **الاتصال**. ع٢، (عالم الفكر، ١٩٨٠) ص ٣٢٦.

(٣) ويليام ريفرز وآخرون. **وسائل الإعلام في المجتمع الحديث. ترجمة:**إبراهيم إمام ( القاهرة: دار الفكر العربي. ١٩٧١) ص٣٥.

شؤون المعرفة وتنظيم الذاكرة الجماعية للمجتمع وبخاصة جمع المعلومات العلمية ومعالجتها واستخدامها وهو يستطيع احتمالا على الأقل إعادة صياغة القالب الثقافي للمجتمع و مع ذلك ففي هذا المجال كما في سائر المجالات فان التطور السريع للتكنولوجيا الجديدة ونمو البنى المصنعة التي تمد سيطرتها على الثقافة وعلى الإعلام يخلق مشكلات وإخطارات [١].

كذلك تعتبر طرق الاتصال ذاتها جزء من الثقافة السائدة، فاللغة والمحركات والإشارات والإيماءات، هي عناصر ثقافية وأدوات في الوقت ذاته لنقل الثقافة وتوصيلها، وقد أصبح " مارشال ماكلوهن " صاحب العبارة الشهيرة " الوسيلة هي الرسالة " أن أدوات الاتصال جميعاً تعتبر امتداداً لحواس الإنسان لها دور ها في تغيير هذا الإنسان والتأثير على أسلوب حياته أي ثقافته [٢].

وحق الاتصال يجب أن يتسع ليشمل حق البشرية في أن تعبر وسائل الإعلام عن التنوع الثقافي وفي الوقت نفسه من حق الدول اتخاذ الإجراءات التي تكفل حماية ذاتيتها الثقافية والعمل على تنمية الدول لوسائل إعلامها القادرة على نشر المعلومات الصحيحة عن حضارتها وثقافتها واستخدام مواردها الاتصالية، وتشجيع شعبها على استخدام ثورة الاتصال للدفاع عن هويتها وذاتيتها الثقافية[٣].

## الغزو الثقافي والاتصال الثقافي

إن الصلة بين الثقافة والإعلام تقودنا إلى مناقشة ما يتم تداوله تحت عناوين الغزو الثقافي والاتصال الثقافي، وقد أشارت دراسة (شون ماكبرايد) إلى أن الثقافة لا تتطور بانغلاقها على نفسها داخل قوقعتها، وإنما تتطور بالتبادل الحر مع الثقافات الأخرى والحفاظ على الصلة بكل قوى التقدم الإنساني حيث أن التبادل الحر لا بد أن يكون أيضاً على قدم المساواة وقائماً على أساس الاحترام المتبادل، فقد يؤدي تعدد قنوات الإرسال الذي أتاحته التوابع الصناعية للبث المباشر إلى تنوع الأهداف والمشاهدين والمستمعين، ومن خلال اشتداد المنافسة قد يؤدي هذا التعدد إلى توحيد نمط المحتوى كما قد يؤدي على الصعيد الدولي إلى زيادة حدة التبعية الثقافية بزيادة البرامج المستوردة [٤].

ويبدو أن القضية الأساسية التي تطرحها الثقافة العربية هي تأمين التواصل بين الماضي والحاضر والمستقبل، والتعبير عن تطلعات عربية اجتماعية مشتركة تجسد

---

(١) صالح أبو أصبع. **مرجع سابق**، ص٥٥.

(٢) وليام ريفرز وآخرون. **مرجع سابق**، ص ٤٩.

(٣)سليمان صالح. **ثورة الاتصال وحرية الإعلام**. ط١ ( الكويت: مكتبة الفلاح، ٢٠٠٧) ص٣٧٣.

(٤) تيسير أبو عرجة. **مرجع سابق**، ص١١٩.

هوية الأمة، مع الحفاظ على الأصالة والقيم الايجابية في الذات العربية للحضارة العربية، لكن الثقافة العربية هذه تحمل أيضاً بصمات أوضاع التخلف والتبعية وتخضع لضغوط الهيمنة الغربية على كل المستويات وبالتالي فإن جاذباً كبيراً من الثقافة العربية استهلاكي يعتمد التقليد والاجترار والسطحية على مستوى الأفكار والقيم ويتحاشى النقد الجريء لتحليل المتعمق والنقاش الصريح كما يلتزم الحذر والخجل في طرح معالم الخصوصية عناصر الأصالة وبالتالي فهو قاصر بذاته وعاجز بفعل عقمه عن مواجهة الآخر [١]. ويذهب المفكرون إلى أن مشكلة الأصالة والمعاصرة من أحدث المشكلات التي أخذت تستحوذ على اهتمام المثقفين، وترجع جذورها إلى المرحلة التالية لفترة النهضة الحديثة ويتمثل جوهر المشكلة في كيفية التعايش أو الامتزاج بين التراث الإسلامي والثقافة الحديثة " الغربية " [٢].

فالغزو الثقافي والاتصال الثقافي لا يمكن الفصل بينهما في عالمنا المعاصر فصلاً قاطعاً ولم يعد في مقدور أمة في عالمنا المعاصر أن تقيم ستاراً حديدياً بينها وبين العالم، فتستغني عن الاتصال الثقافي وتتفرغ لمواجهة الغزو الثقافي وحسب، إن طبيعة العصر جعلت لهذين المفهومين المتناقضين الغزو الثقافي والاتصال الحضاري تلازماً وثيقاً في المجال والتأثير[٣].

وقد أدى تفكك النظام الثقافي الوطني في دول الجنوب إلى إفساح الطريق لآليات العولمة الثقافية التي تسعى لتوحيد العالم في منظومة قيمية وفكرية واحدة تستجيب دون مقاومة لمتطلبات السوق العالمية، وتعتمد ثقافة العولمة على وسائل الإعلام السمعية والبصري التي غطت الكرة الأرضية عبر الأقمار الصناعية وعرضت جميع القارات والدول والعواصم في أحدث صورها لأسباب ترتبط بالمستجدات التي طرأت على الواقع الثقافي الدولي خصوصاً بعد اختفاء الاتحاد السوفييتي وانحسار الصراع الأيديولوجي من الساحة الدولية وحلول الاختراق الثقافي محله[٤].

وهنا تكمن الخطورة إذا تحول الانسياب الثقافي الطبيعي إلى تدفق ثقافي موجه للتأثير على شخصية الأمة وطمس معالم ثقافتها، وقد استطاعت اليابان أن تحافظ على شخصيتها إلى حد بعيد، رغم المحاولات الأجنبية للضغط عليها والتأثير على ثقافتها [٥].

---

(١) الإعلام العربي الأوروبي حوار من أجل المستقبل. **مرجع سابق**، ص٧٦.
(٢) حامد طاهر. **دراسات عربية وإسلامية**. ج٩، ١٩٨٩، ص٥٢.
(٣) تيسير أبو عرجة. **مرجع سابق**، ص١١٩.
(٤) عواطف عبد الرحمن. **الإعلام العربي وقضايا العولمة**. ط١ ( القاهرة: العربي للنشر، ٢٠٠٣) ص٢١.
(٥) إبراهيم إمام. **مرجع سابق**، ص٤٥٤.

فإن كانت السياسة الثقافية تستهدف تقديم ما يرضي الأذواق الحالية للجماهير وإشاعة السطحية وقتل التفكير أدى ذلك إلى هبوط المادة الثقافية المقدمة للجمهور، وحينما تعمد السياسة الثقافية إلى رفع المستوى الفكري، وإيقاظ العقول وتقدم للجمهور ثقافة هادفة ترقى بمستوى الأذواق وتخاطب عقولهم و عواطفهم، و بذلك ينتشر الفن الراقي ويرتفع مستوى الأداء الفني وهذا يؤدي إلى ارتفاع مستوى الذوق العام بين الجماهير [١].

إن المسئولية لوسائل الاتصال الجماهيرية لا تقتصر على تقديم هذا النوع من الثقافة الذي خلفته هذه الوسائل بحكم مخاطبتها للجمهور العام، وهو الثقافة الجماهيرية، فمن المعروف أن وسائل الاتصال الجماهيرية تخاطب بالإضافة إلى الجمهور العام أي قطاع المثقفين ثقافة عالية وتتحمل أيضاً مسئولية إشباع جزء أساسي من احتياجات هذا القطاع بما تقدمه من برامج أدبية وفنية وعلمية جيدة الإعداد رفيعة المستوى كما أن مسئولية وسائل الاتصال الجماهيرية في تقديم الفن الشعبي وإحياء التراث الشعبي الهادف ينبغي أن تنال الرعاية والاهتمام [٢].

كما أن التهديد الذي تمثله وكالات الإعلان العالمية بما تفرضه من أساليب إعلانية غربية رأت فيها (اليونسكو) تهديداً للذاتية الثقافية والتحقيق الذاتي لكثير من البلدان النامية، فهي تعرض على جماهير غفيرة قيماً أخلاقية أجنبية، وقد تحول طلبات المستهلكين في البلدان النامية إلى مجالات استهلاكية قد تعوق أولوياتها الإنمائية، وهي تؤثر في أنماط المعيشة وأساليب الحياة وكثيراً ما تشوهها وفضلاً عن ذلك فإن تهديد المصالح الخاصة أو الحكومية بحسب إعلاناتها قد يشكل تهديداً لحرية الصحافة [٣].

والاختراق الثقافي أصبح يمثل أحدث آليات الهيمنة العالمية التي تستكمل الدور الذي تقوم به الشركات المتعددة الجنسية وصندوق النقد والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية وغيره الذين يشكلون مجلس إدارة اقتصاد العالم، وهو كآلية متطورة تسعى إلى تكريس منظومة معينة من القيم الرفيعة تتفاعل داخل المجتمعات ببطء ولكن مخترقة بثبات منظومة القيم [٤].

في العام ١٩٧٨م اقترحت اليونسكو نظاماً إعلامياً جديداً، وشكلت له اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال برئاسة وزير خارجية ايرلندا (شام ماكبرايد) وقدمت اللجنة تقرير متشائم لأحوال الثقافة الإعلامية الدولية في التقرير وأن هناك وضع مأساوي قد يضر التفاهم الأمم والتعاون بين الشعوب في ثقافة الدول

---

(١) علي عجوة. **مرجع سابق**، ص١٥٢.
(٢) عبد الحكيم بدران. **مرجع سابق**، ص١٨٧.
(٣) تيسير أبو عرجة. **مرجع سابق**،ص١١٦.
(٤) عواطف عبد الرحمن. ٢٠٠٣. **مرجع سابق**، ص٢٢.

الاجتماعية وسياستها ومشاريعها وخاصة دول العالم الثالث التي تسعى لطرح برامج تنموية للحاق بالغرب المتقدم [١].

والواقع أن مخاطر الاختراق الثقافي الذي يشكل أبرز التحديات المعاصرة لثقافة الدولة التي لم تقتصر على دول الأطراف جنوب العالم بل بدت أوروبا التي تنتمي لدول المركز ونشعر بالتفتت الثقافي الناجم عن عالمية السوق وإن كانت دول الجنوب تشكل الساحة الرئيسية لمشاكل الاختراق الأنجلو الأمريكي والفرنسي [٢].

وارتفعت أصوات الوطنيين من دول الجنوب الفقير مطالبة بالحماية الاجتماعية والثقافية وإيقاف السيطرة الاتصالية من قبل الدول المتقدمة و هذا في حد ذاته ولد العديد من النقاشات الحادة و في المنظمة الأممية اليونسكو التي أصدرت العديد من التوصيات التي تحفظ للآخرين حقوقهم كشعوب وهذا التوجه الوطني تجاه الثقافة والإعلام أزعج مثل أمريكا وبريطانيا ودفع بها للانسحاب من المنظمة والتخلي عن دعمها مادياً في فترة لاحقة (٣).

يركز)مالكلو هان (اهتمامه بدراسة وسائل الاتصال الجماهيري على مستوى مختلف حيث تتناول نظرياته الإعلام بأنه يقوم " بتغيير طبيعة الثقافة نفسها من الجذور حتى الفروع " كما يرى أن الثقافة المختلفة تستخدم حواس مختلفة وبذلك فإن مفاهيمها عن العالم تصبح مختلفة ثم يضيف أن متابعة التليفزيون تستلزم حواس أكثر من مجرد حاسة الإبصار ذلك أن الصورة التي يبثها التليفزيون توجه وتحيط بالمشاهد مما يعطي إحساسا انه مشارك في العمل الذي يعرضه التليفزيون الأمر الذي لا يحدث لنفس المشاهد عندما يقرأ، وربما تكون الاختلافات تأثيراً عندما يعرض التليفزيون برنامجاً بالصور الحية لأحداث وقعت في بلاد تبعد عن المشاهد بآلاف الأجيال إلا أنه يشاهدها في لحظة وقوعها(٤).

ومن الضروري الاهتمام بالبعد الثقافي عند الحديث عن قضايا الشباب، خاصة ونحن نعيش عصر المعلومات والإعلام الفضائي، إذ لا بد من إشباع الاحتياجات الثقافية لفئات الشباب شريطة أن يكون هذا الإشباع بالقدر والكيفية الملائمة، وبما يحقق الأصالة والمعاصرة في آن واحد، بحيث يكون انفتاح في مختلف الثقافات دون الانصهار في الثقافات الأجنبية، ولقد وجد في السنوات الأخيرة أن نسبة الأمية الثقافية بين المتعلمين آخذة في الازدياد، حيث أن المتعلم قد يكون من الكفاءات

---

(١) عبد الله الطويرقي. **صحافة المجتمع الجماهيري**. ط١ ( الرياض: العبيكان، ١٩٩٧) ص٢١٧.
(٢) عواطف عبد الرحمن. ٢٠٠٣. **مرجع سابق**، ص٢٢.
(٣) عبد الله الطويرقي. **مرجع سابق**، ص٢١٨.
(٤) ويليام ريفرز وآخرون. **مرجع سابق**، ص٢٧٨.

المميزة في مجال تخصصه،أما خارج هذا التخصص فان ثقافته تكون ضئيلة للغاية في المجالات الأخرى(١).

ما يؤثر على التراث عاملين أساسيين: عولمة اقتصاد السياحة والذي نمت وتطورت في السنوات الأخيرة بالرغم من بعض المحاولات التعديلية التي تجرى الآن لتتكيف ضمناً مع الهوية الأصلية للتراث الوطني المتمثل بالخصوصية الثقافية، بالإضافة إلى إتباع الرأسمالية كنموذجا للأحداث مؤخراً (٢) وهيمنة الدول الرأسمالية ذات القوة والنفوذ على سياسات العالم الثالث الخاصة (٣) .

## نقد مفهوم الغزو الثقافي

يوجد افتراض أساسي يوجه أغلب المناقشات التي دارت حول قضية الهوية الثقافية ومؤداه أن ما نشهده اليوم من تطور في تكنولوجيا الاتصال يحمل في طياته تهديداً أو غزواً ثقافياً للدول والثقافات تتضح آثاره في عناصر البناء الاجتماعي ومكوناته وتشكيل العادات والتقاليد وأساليب الحياة، وتلك هي المقولة التي ردد ها أصحاب مدرسة التبعية الثقافية أو منظرو الاستعمار الثقافي ورغم أن أصحاب مدرسة التبعية يرون بشكل أرحب وأوسع وأشمل ويعبرون عن شمولية في النظر، وفهم حقيقي للعلاقات التي تحكم دول العالم المعاصر وما يترتب على ذلك من تبعية أو ندية (٤).

ولقد أثبتت الأبحاث أن الشعوب المحلية في العالم الثالث تتعلق أكثر بفنونها من موسيقى ورقص ولغة وعادات، وأن فكرة الثقافة الكونية تكون سائدة أكثر في الأماكن الحضرية بالعالم الثالث التي يتقبل فيها الأهالي الأفكار والاتجاهات الجديدة ويكون لديها القدرة المالية على الصرف على هذه المنتجات، والنتيجة الوحيدة التي يمكن استخلاصها هو أنه بينما تتعرض الهويات الثقافية الآسيوية للتأثير فهي لا تتشكل بالضرورة بالرسائل الإعلامية الكونية التي تتعرض لها (٥).

---

(١) منى الحديدي. **الإعلام والمجتمع**. مهرجان القراءة للجميع ( القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٤) ص ٢١١.

(2 ) Carman, John (2005) **Against Cultural Property: Archaeology, heritage and ownership**. London: Dukworthm, p79.

(3 ) Ferguson,james (2004) **Power Topographies. In A Companion to the Anthropology of politics**. D. Nugent and J. Vincent, eds, Oxford: Blackwell.pp383-399.

(٤) شبل بدران. **غزو ثقافي. أم تبعية ثقافية**. بحث مقدم لندوة د/ عاطف غيث العلمية الخامسة. المجتمع العربي وتحديات القرن الحادي والعشرين، أبحاث ومداخلات الندوة، الجزء الأول ( القاهرة:دار المعرفة الجامعية. ١٩٩٤) ص ٢٣٠.

(٥)ألفت الأغا، **مرجع سابق**، ص٣١.

وإن قضية المحلية العالمية قد طرحت في مجال الأدب والفن كما طرحت في مجال الاتصال الجماهيري وفي كل مكان هناك من يرى أن الإغراق في المحلية يعتبر أساساً للعالمية ويعتقد أن المحلية يمكن أن تكون أساساً للعالمية فيما إذا توافرت عدة متطلبات منها أن الإغراق في المحلية لا يعني تقليداً لأنماط ثقافية غريبة عن واقع المجتمع وثقافته، كما يعني أن تعطي وسائل الإعلام القومية والمحلية والإقليمية صورة صادقة عن مجتمعاتها، وأن تكون انعكاساً لها ولثقافتها وفنونها ولهجاتها، فوسائل الإعلام المحلية في حاجة إلى تطوير رؤية واضحة في إطار المماثلة الاجتماعية للمجتمعات المحلية التي تحاول أن تخدمها كما أن وسائل الإعلام المحلية يجب أن تستحث جمهورها باستمرار كي ينظروا فيما وراء المحلية والإقليمية، وراء آفاق منطقتهم الثقافية والجغرافية، أو وراء منطقتهم الجغرافية وواقعهم الثقافي لكي يتجنبوا الخطر المزدوج لمحلية التفكير، وإن وسائل الإعلام المحلية يجب أن تشجع المشاهدين والمستمعين على إدراك ما الذي يشتركون فيه مع أناس آخرين في مناطق جغرافية واجتماعية وثقافية ودينية أخرى، وإن هذه النظرة للخارج سوف تشجع المشاركين في وسائل الإعلام المحلية على الشعور بأنهم جزء من ثقافة ودولة أوسع وحينئذ يمكن أن يمثل التشبث بالخصوصية إحدى سبل التعامل مع العالمية [1].

## المواجهة – المنطلقات والآليات

تشير بعض الدراسات إلى وجود أربع ثقافات تتصارع الآن على الساحة العربية هي: الثقافة العربية والثقافة الأمريكية والثقافة الغربية الأوروبية والثقافة الإسرائيلية وإذا كان الهدف الأساسي للغزو الثقافي للوطن العربي يتركز حول حماية مصالح القوى الأكثر سيطرة على الساحة العالمية مدعومة ومعززة بمصالح النخب السياسية والاقتصادية المحلية، فإن الدول الاستعمارية الأوروبية التي مارست في الماضي سيطرتها وغزوها الثقافي في العالم العربي أصبحت الآن تشكو من الغزو الثقافي الأمريكي، فالغزو الثقافي في المرحلة الراهنة الممتدة من أعقاب الحرب العالمية الثانية وحتى الآن أصبح ذا صبغه عالمية تتزعمه المراكز الاحتكارية الضخمة العابرة القوميات والتي تنطلق معظمها من الولايات المتحدة الأمريكية وكذلك فإن الغزو الثقافي للوطن العربي لم يتخذ شكلاً واحداً عبر تاريخه الطويل بل تجسد في ممارسات وأشكال متنوعة لعل أكثرها رسوخاً في المرحلة الراهنة أسلوب

(1) jan driyvers**, community broadcastings**, a manifesto for the media policy of small European countries, media, culture and society, vol 14, no, 2, soge، London, 1992, p,.200.

الاستعمار الاقتلاعي والاستيطاني في فلسطين والذي توسع باحتلال مناطق عربية أخرى ويعبر عن نفسه ثقافياً فيما يسمى " ثقافة التطبيع "(١).

## المستوى الاستراتيجي للمواجهة الثقافية

ينطلق التصور الاستراتيجي للمواجهة الثقافية من حقيقتين جوهريتين تشير الحقيقة الأولى إلى أن الواقع الثقافي الراهن في الوطن العربي الذي يتزامن فيه القديم والجديد والوافد والموروث دون تفاعل حقيقي وتهيمن السياسة على الثقافة وتتسع الهوة بين التقليدي والعصري في مختلف مجالات الحياة العربية المعاصرة ويخضع في مجمله لطغيان الثقافة الاستهلاكية التي تمارسها القوى العالمية المسيطرة على وسائل الإعلام المرئي والمسموع والتي تعمل بإصرار على تخريب الثقافات القومية وتفتيتها، كل ذلك يفرض ضرورة تبني إستراتيجية ثقافية فاعلة وقادرة على تجاوز الثنائية والانشطار الثقافي في الواقع العربي الراهن وقادرة على مواجهة الاختراق الثقافي من خلال ثورة ثقافية شاملة متعددة المراحل تستهدف إعادة بناء التراث الثقافي من الداخل، لأن أي محاولات جادة لتجديد الثقافة العربية لا يمكن أن تتم إلا من داخلها و هذا يثير قضية العودة إلى التراث التي تجد صدى كبيراً في العالم العربي وخاصة خلال العقد الأخير حيث ينتشر الرأي الذي يؤكد أن الرجوع إلى الأصول الأولى – ويقصدون بها في الأغلب العصر الذهبي للإسلام – هو الدرع الحقيقي الذي يحمينا من كل ضروب التبعية والاختراق الثقافي.

وهناك مفارقة أساسية في العلاقة بين التبعية الثقافية والعودة إلى الجذور، فالمجتمعات العربية تسعى في آن واحد إلى تحقيق هدفين يبدو أن كلاً منهما يتناقض مع الآخر فهي تسعى إلى مسايرة العصر كي تحتل المكانة اللائقة بها على خريطة العالم المعاصر، و في ذات الوقت تحرص على التمسك بالهوية القومية والجذور التاريخية فكيف يتحقق ذلك، أي كيف يتحقق الجمع بين الأصالة المعاصرة؟ وهنا تثار إشكالية الفرز بين الجوانب السلبية في التراث القائم على الطاعة والاستسلام والمعادي للنقد والإبداع والتفكير الحر، والجوانب الإيجابية في التراث التي تضم جميع الإنجازات الرائعة في ميادين العلوم والآداب والفلسفة والتي شكلت رافداً حضارياً متميزاً استطاع أن يصب في نهر الثقافة الإنسانية ومسيرتها وقد تعرض للجمود بسبب عوامل الغزو والسيطرة الأجنبية ولكنه يتميز بأنه قابل للنمو والتطور كذلك فإن الحداثة أو التحديث المرتبط تاريخياً في العقل العربي الجمعي بالتبعية والخضوع للغرب يملك جوانب أخرى إيجابية تتمثل في التراث العلمي والعقلي الذي

---

(١) عواطف عبد الرحمن. **قضايا إعلامية معاصرة في الوطن العربي**. ط١ ( القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٧) ص٤٤.

أضافته الثقافة الغربية إلى التراث الإنساني المعاصر، هذا الجانب لا يمكن إغفاله أو تجاهله إذ تزداد حاجتنا إلى الاستعانة به في مواجهتنا لتحديات العصر[١].

(١) عواطف عبد الرحمن. **المرجع السابق**، ص٤٨.